الأبعاد التداولية للإشارات والإحالة في قصيدة لا تطرق الباب لعبد الرزاق عبد الواحد

أ.د. ايثار شوقي سعدون

قسم اللغة العربية/ كلية التربية الأساسية/ الجامعة المستنصرية

The pragmatics of the Deixis and the reference in the poem " Do not knock the door " for Abdulrazaq Abdulwahid

Prof. Ethar Shawky Saadoun

University of Mustansiriya / Faculty of Basic Education

the department of Arabic language

ETHarshawqy73@gmail.com

Abstract:

In this research oaoer, I want to confirm on the opinion of the linguists which states that the function of the language did not and will not include speaking activity only, but its effect is a result of a speaker who trends in his speech about certain anxiety in certain time and place, then the searching about tne ability of the sentence to accomplish the wanted activity when it is said.

The new thing we have studied in this paper is status when the speech is directed from the speaker to himself through an emotion or affection which is combined with an epic of grief within what is called the poem of experience where the deixes and reference create the main elements of the poem through the definition of characters in addition to the definition of the places and times being referred in the poem.

Keywords: deliberative, references, assignment

الملخص:

أروم عبر هذا البحث التأكيد على ما ذهب إليه اللسانيون من أن وظيفة اللغة لم ولن تقتصر على الأخبار بل بعدها نتاج متكلم يتجه بخطابه إلى متلق محدد في زمان ومكان محددين، ومن ثم البحث عن المقدرة الانجازية التي تحققها العبارة اللغوية عند الاستعمال، غير أن الجدة في فعالنا هذا هو أن يكون الخطاب موجهاً من باث الى نفسه عبر عاطفة مركبة في ملحمة من الحزن ضمن ما يسمى بشعر التجربة لتكوّن الاشاريات والاحالة الوحدة العضوية للقصيدة من خلال التحديد الشخصي فضلاً عن تحديد الأشياء والأماكن والأزمان التي يحال إليها.

الكلمات المفتاحية: التداولية، الإشارات، الاحالة

المقدمـــــة

شغلت النصوص الشعرية حيزاً كبيراً المعالجات اللغوية والأدبية فكان لها حضوراً مقيداً عن أغلب الباحثين محاولين تحليلها والوقوف على مضامينها المقصودة المتطوقة وغير المنطوقة لخلق علاقة صلة بين منشئ النص ومتلقيه. وحين ظهور المناهج اللغوية الحديثة ولا سيما المنهج التداولي الذي يسعى إلى تحليل نص ما عبر تفسير الكيفية التي يعتمدها المتلقي لفهم ذلك النص برؤية العلامة اللغوية بصرف النظر عن البنى التركيبية.

تعد الاشاريات والاحالة من أهم عناصر التداولية التي تسهم في تحديد المعاني التي يحملها نسق لغوي معين عبر تجذرها في عمق ذلك النسق، إذ لا بد لأي نص من لن يتألف من مجموعة من العناصر الشخصية والزمانكية والضيق متمثلة بالضمائر والاشارة والظروف وحروف الاضراب وغيرها ولكل منها وظيفتها الدلالية التي تتضافر مع العناصر الأخرى لتحليل المشفرات المبعوثة من الباث إلى المتلقي.

ومن هذا المبدأ وقع اختيارنا على قصيدة (لا تطرق الباب) للشاعر الكبير عبد الرزاق عبد الواحد لتكون انموذجاً للدراسة، لمميزات تتمتع بها القصيدة خاصة وأخرى يختص بها الشاعر، فأما مميزات القصيدة فهي من قصائد التجربة الذاتية المشحوبة بالعاطفة والكثيرين الاحالات التجريدية لتقريب واقعه الذي يعيشه، فالقصيدة تمثل أعلى درجات الانوية التي تعنى بها الاشاريات وتستعين بالاحالات ولاسيما البعدية لشد المتلقي لمتابعة الخطاب.

وأما ما يخص الشاعر فلا يخفى على كل مثقف حجم عبد الرزاق عبد الواحد ومكانته في الساحة الأدبية ويكفي أنه لقب بخليفة المتنبي لقدرته على خلق التواصل مع مختلف أنواع المتلقين ومختلف أنواع السياقات الاجتماعية.

م1: قصيدة لا تطرق الباب:

شغلت النصوص الشعرية حيزاً كبيراً من معالجات اللغويين والنقاد سواء كانت تلك المعالجات على مستوى ديوان كامل أو قصيدة منفردة، وتعد قصيدة (لا تطرق الباب) من النوادر التي لها حضور متميز شكلاً ومضموناً، متفردة في معالجة موضوع الغربة، مبرزة لجدلية الصراع الذاتي بين الشوق والذكرى واستحالة الأمل.

وعلى الرغم من اختصار الشخصيات الرئيسة في الحدث على شخصية الباث الا انها زخرت بشخصيات ساندة ضمن حوار داخلي مبتدأهُ المتكلم وفنهاهُ هو – أي – أن ركني الخطاب (المتلقي – الباث) يتمثلان بشخص واحد عبر مونولوج درامي يشير إلى وقوع الشعر تحت وطأة انفعال قوي أو ازمة تسيطر على فكره ووجدانه.

في عام 2012 كتب شاعرنا قصيدته حينما تعرض الكثير من ابناء شعبه الى القتل والتهجر[1] وقد ألقاها في ملتقى الفجيرة الاعلامي الثالث[2] وهو يحمل كل مفردات الشجن والحنين ليؤرخ فيها هجرة ابنائه واحفاده [3].

م2: التداولية:

لن أذهب كثيراً في عرض التداولية كمصطلح ومضمون لأنها غدت من سلمان الدرس اللساني في الحديث شير اني سأكتفي بما بعيان مفهومها اصطلاحياً تحقيقاً لمتطلبات البحث.

التداولية هي مضمون متشعب الأطراف ومتنوع الزوايا لا يكون قيد المستوى الدلالي كافياً ما لم تكون هناك علاقة بين العلامات اللثوية ومؤليها، متفرعة عن علم اللغة، تبحث في ألية اكتشاف المتلقي مقاصد الباث ؛ لأن الباث غالباً ما يعني أكثر مما يقوله في ألفاظه. إذ ان هي دراسة للغة في الاستعمال فالمعنى غير متأصل في الكلمات وحدها ولا يرتبط بالباث أو المتلقي وحدهما بل في تداول اللغة بين هذه الأطراف[4] وأثار هذا التداول في البنى اللغوية[5].

ومهما تعددت مفاهيم التداولية أو تنوعت فروعها فأننا نسعى في هذا البحث الى دراسة عنصرين من العناصر التي تسهم في فهم تداولية النص موضوع المدرسة عبر المقاربة بينهما وهما [الاشاريات والاحالة] ذلك أن كليهما لا يكتفي بنفسه وإنما بحبل إلى عنصر آخر نحو الضمائر واسماء والاشارة فضلاً عن الاحالات الزمكانية.

م3: الاشاريات:

تندرج الاشاريات بحسب المفهوم اللساني ضمن الدرجة الأولى من التحليل التداولي غايتها دراسة العناصر اللغوية التي لها مرجعية خاصة تتضح عن طريق السياق ومصطلح (الاشارة) استعمله بيرس ليقابل مصطلح (الأنوية

الخاصة) عند روسل و(الدليل) عند كودمان، ويراد بها الوسائل التي تشغر بها اللغات خواص سياق الحدث الكلامي أو تعممها، ومن ثم يرتبط تفسير منطوقات معينة بتحليل سياقها[6].

وتستند الاشاريات إلى مجموعة من العناصر تمثل الدائرة اللغوية للحدث، وهي: الباث (صانع النص) ومراده الذي يحيل إليه إذ يرى النصيون أن الاحالة عمل انساني، واللفظ المجبل وهو العنصر الذي لا يدله أن يتجسد ظاهراً أو مقدراً مثل الاشارة والضمير وله وظيفة الاحالة داخل النص أو خارجه، والمحال إليه الذي يتواجد داخل النص أو خارجه بصرف النظر عن كونه مجل أو تراكيب أو دلالات تدل على فهم المتلقي بالنص وقدرته على الوصول إلى المحال إليه، وأخيراً العلاقة بين اللفظ المحيل والمحال إليه[7].

وبناء على ما تقدم يمكن تعريف الاشاريات بـ " أنها مفهوم لساني يجمع كل الكلمات التي تحيل مباشرة على المقام من حيث وجود الذات المتكلمة أو الزمن أو المكان، إذ ينجز الملفوظ والذي يرتبط به معناه، من ذلك (الآن)، (هنا)، (هناك)، (أنا)، (أنت)، (هذا)، (هذهِ)... وهذه العناصر تلتقي في مفهوم التعيين أو توجيه الانتباه إلى موضوعها بالإشارة إليه، وهي تنظم الفضاء من نقطة مركزية هي الذات المتكلمة أو (الأنا)[8].

وتعد من المعارف الاستعمالية لا الوصفية لأنها تتشكل بين الابهام والتعريف – أي – لو كانت متفردة فهي مبهمة ويزيل عنها الابهام إن ركبت مع غيرها في سياق ما بمعنى أن التعريف صفة ملاصقة لها حين الاستعمال ضمن سياق ما[9].

أما أنواع الاشاريات فاختلف فيها، إذ جعلها بعضهم على خمسة أنواع هي:

إشاريات شخصية، واشارات زمانية، واشاريات مكانية، واشاريات اجتماعية، واشاريات نصية. بينما قصرها بعضهم الآخر على ثلاثة أنواع الأولى وحددها آخرون بالأربعة الأخيرة[10].

أ- الاشاريات الشخصية:

وهي محيلات لسانية تظهر على مستوى البنية السطحية أو العميقة للخطاب وتشمل أنواع الضمائر المتصلة والمنفصلة والمستترة وجوباً أو جوازاً [11] والدالة على المتكلم والمخاطب والغائب.

وتجدر الاشارة إلى ان ضمير الغائب لا يدخل ضمن الاشاريات الا ان كانت مرجعيته غير معروفة داخل السياق فإن عرفت تلك المرجعية خرج عن دائرة الاشارة[12].

ويعد النداء من الاشاريات الشخصية لقنبرية المخاطب أو استدعائه[13]،إذ يراه اللسانيون من أهم أدوات التخاطب الخاصة بالعملية التواصلية، لأنه يجسد الحلقة التخاطبية[14].

وقد طغت الضمائر الشخصية في قصيدة (لا تطرق الباب) وتوزعت على الضمائر الملكية والضمائر الوجودية والنداء.

أما الضمائر الوجودية فتلمح فيها استعمال ضمير المخاطب المضمر جوازاً والمقدر بـ (أنت) ليقابل ضمير الغائب (الهاء) دلالة على وسم الغياب وتأكيده ازاء الحضور الذي يتسم به الخطاب. وعبر المقابلة يفتح الشاعر الحوار بين الاثنين في قوله:

لا تطرق الباب تدري أنهم رحلوا

وقوله:

لا تطرق الباب.. كانوا حين تطرقها

ينزلون إليها.. كنت تقفل

فاستعمل الشاعر الضمير المستتر (أنت) في الأفعال (لا تطرق)، (تدري)، (تطرقها)، (تقفل) والضمير (ت) في الفعل (كنت) ليحيل احالة سياقية الى نفسه وهي احالة تعتمد على سياق الموقف وتدلل على تفاعل اللغة معه[15].

وهذه الاحالة هي أساس الخطاب ومركزه وبذلك حقق مبدأ الصدق في الاشارة الذي أثبته (بيرس)[16] ذلك أن فحوى الخطاب هي وصف لعودة الشاعر إلى منزله بعد طول غياب.

ليقابل ذلك كله ضمير (الهاء) في (أنهم) الذي يحيل الى احالة داخلية لاحقة تمثل مرجعاً محدداً في السياق التخاطبي وهم أهل الدار وقد أشار لهم الشاعر بالضمير الوجودي (واو) الجماعة في الافعال: (كانوا)، (رحلوا) (ينزلون) ومما حضر فيه الضمير المستتر المخاطب، قوله:

تراقب الزاد.. هل ناموا وما أكلوا

ونطفيء النور.. لو.. لو مرةً فعلوا

وفيك ألف ابتهال لو نسوه لكي

بهم عيونك قبل النوم تكتحل

هو حضور يشير إلى حضور الحدث والتفاعل معه وجدانياً وحسياً عبر توظيف الاستلزام بين قوة (أنت) المخاطب و(الكاف) في (عيونك) المؤكدة له مع الهاء في (بهم). وهذا التناوب بين الضمائر المتضمنة الاحالة الى الباث نفسه له أثره في صنع الخطاب بين الطرفين المعنيين الباث / المتلقي ومن ثم بزوغ السمة التأثيرية للفعل اللغوي القائم على المجال التقابلي بينهما بعدهما عناصر متفاعلة مع الحدث.

أما الضمائر الملكية وتتضح أهميتها في قول الشاعر:

ها بيتي الواسعُ الفضفاض ينظر لي

وكلّ باب به مزلاجُها عَجِلُ

كأنّ صوتاً يُناديني واسمَعُه

إذ إنّ الياء) في (بيتي)، (لي)، (يناديني) جاءت في نهاية القصيدة لتكون علامات لسانية متتابعة افقياً تخضع لسياق تداولي يفسرها، فالشاعر مضطرب الاحساس ومحزونه اتخذ من الضمائر المخاطبة والغيبة ستاراً لغوياً لكسر الخذلان داخله عدا حالتها الى ذاته غير المصرح بها إلاّ في آخر الأبيات ليعلن عن نفسه بوضوح باسناد (ياء المتكلم). ويبدو أن الستراتيجية المستعملة في اعتماد الضمائر السابقة هو تكثيف الشحنة الدلالية لها بمقاصة المتكلم التي يريد إيصالها بعطف ابوي طاغ فيه كل مشاعر الخير لذا كانت الخاتمة بضمير المتكلم ليمنح افقاً أوسع لإيصال تجربته.

واذا عرجنا على النداء الذي هو ضميمة اسمية غير مدمجة في الكلام الذي يتلوها وانما منفصلة عنه بتنغيم خاص بها، وهو لا يفهم الا اذا اتضح المرجع الذي يشير إليه[17]، واستعمله الشاعر في ثلاثة مواضع حين قال:

لا تطرق الباب.. من بوحين تطرُقُها

لكنّهم يا غزير الشيب ما نزلوا !

وقوله:

يا أدمع العين.. من منكم يشاطرني

هذا المساء، وبدرُ الحُزن يكتملُ ؟

ها بيتي الواسعُ الفضفاضُ ينظرُ لي

وكل باب به مزلاجُها عَجِلُ

وفي قوله:

كأنّ صوتاً يُناديني، وأسمَعُهُ

يا حارس الدار... أهل الدارِ لن يصلوا

إذ استعمل حرف النداء (يا) وهو أكثر الحروف استعمالاً فضلاً عن استعماله للـ (ها) كحرف تنبيه. أما حرف النداء فمرجعها واحد إذ يحيل بها الشاعر إلى ذاته التي كنى عنها بـ (غزير الشيب) وإلى حزنه المخزون فيها والدي كنى عنه بـ (أدمع العين) دلالة على بكائه، وبذلك يكون نداءَه يخاطب به نفسه، لأن النداء لا يكون الا للحاضر ولا يجوز نداء المتكلم والغائب[18] لذا استعمل الكناية لتحصل بها الوظيفة التخاطبية مثلما تحصل مع الضمائر الدالة على الحضور. والغاية كما أسلفنا التنبيه إلى مضمون الخطاب وعززه باستعمال الحرف (ها) تأكيد على آثاره التعزيز التفاعلي لدى المتلقي.

مما سبق نستطيع أن نفهم الانوية العالية داخل النص التي سعى الشاعر لإظهارها عبر حشد من الاشاريات الشخصية الحاضرة التي لا يمكن فهم دلالاتها ما لم نعتمد على سياقها الواردة غير محققة أقصى درجات الصدق المطلوبة منها.

ب- الاشاريات الزمانية:

الاشاريات الزمانية التي تدخل ضمن التداوليات الخطابية هي تلك التي سماها اللسانيون بـ (زمن الحدث) أو (زمن الخطاب) والتي تسعى إلى ايجاد نقطة تلاقي بين الزمن الحالي مع زمن الخطاب، ويظهر (زمن الحدث) في الحاضر الذي تعود مرجعيته أما إلى الماضي أو ينحو نحو المستقبل. ويعد حداً فاصلاً بين الماضي المنتهي والحاضر المستمر، ولذلك فاللغة لا تعامل الزمنين، الزمن التاريخي الدال على حدث في تاريخ معين وزمن الحدث المراد منه الزمن اللغوي لا تعاملهما بمستوى واحد تداولياً ؛ لأن كل منهما يعبر عن وقت خاص به، وينماز الزمن في اللغة بوساطة القرائن أو ظروف الزمان التي تسمى بـ (المبهمات الزمانية) أما زمن الخطاب فهو المحور الذي تقرب بواسطته تلك المبهمات[19].

وتتظافر (المبهمات الزمانية) أو الظروف مع الأفعال اللغوية المستعملة في الكلام التي تحمل في صيغها دلالات زمنية محددة، لتؤديان وظيفتهما داخل السياق التواصلي المتضمنة توجيه الدلالة الزمانية التي قد تدل على الزمان الكوني أو الزمان النحوي[20].

وفي النص موضوع البحث وردت المبهمات الزمانية على هيئة ظروف مختصة فضلاً عن خروج أحدها عن الظرفية بالمفهوم النحوي مع كونه دالاً على الظرفية التداولية، وذلك في قول الشاعر:

ونطفئ النور.. لو.. لو مرةً فعلوا

وفيك الف ابتهال لو نسوه لكي

بهم عيونك قبل النوم تكتحلُ

وقوله:

لا تطرق الباب من يومين تَطرقُهَا

إذ استعمل الشاعر الظروف (قبل النوم) و (يومين) اختص الأول بالاضافة والثاني بالعدد وهي قرائن مقالية توصل إلى تحديد المؤشرات الزمانية للقول، وهذا أيضاً يتحلى في قوله:

يا أدمع العين.. من منكم يشاطرني

هذا المساء، وبدرُ الحزن يكتملْ ؟!

(فهذا المساء) أيضاً يدلل بقرينة مقالية عبر استعمال اسم الاشارة (هذا) ليدلل على الزمن المراد في السياق قياساً إلى زمن المتكلم الذي هو مركز الاشارة الزمانية وهو الذي يحدد من وقت معين[21].

ج- الاشاريات المكانية

وتمثلها ظروف المكان ويعتمد استعمالها وتفسيرها على معرفة مكان المتكلم ووقت تكلمه أو على مكان معروف في العملية الخطابية الحاصلة بين الباث المتلقي[22].

والاشارة المكانية ليس بالضرورة أن يتضمنها الخطاب صراحة بل قد يكون ضمنياً ؛ لأن أي خطاب وبحسب المفهوم التداولي يتحدد ضمن مثلث اشارتي يتجسد في (الأنا – الهنا – الآن) [23] – أي – لابد أن يكون على هذا دلالة الخطاب مرتبطة بمرجعية خارج النص، لتكون الدلالة الأخيرة حصيلة المكونين السياقي والنصي[24].

وفي النص موضوع الدراسة لم نجد الاشاريات المكانية ظاهرة وإنما ضمنية تتمثل في قول الشاعر:

كأنّ صوتاً يناديني، وأسمَعُهُ

فالكلام يراد به وبحسب المثلث التداولي: كأنّ صوتاً يناديني هنا أنا الآن واسمَعُهُ هنا أَنا الآن – بدليل قوله فيما بعد:

يا حارسَ الدار.. أهل الدارِ لن يصلوا

لينهي بها سيل انتظاراته غير المجدية. ولعل الشاعر عزف عن ذكر المبهمات المكانية صراحة ولجأ إلى ذكر ما دل على المكان المخصص مثل: الغرف، المنزل، الدار، بيت، دار كاستراتيجية لاستعطاف للمكان الذي يعيش فيه منشئ النص لتحقيق من ثمَّ مبدأ التعاون بين الباث / المتلقي.

وإن غلب تواجد المبهمات المكانية ضمنياً كما أسلفنا الا أنه وبحكم سياق الموقف ظهر لدينا ظرف المكان (حيث) في قوله:

أدري ستذهب.. تستقصي نوافذَهَم

كما دأبت.. وتسعة حيثما دَخَلُوا

وهو من الاشاريات ذات السياق المحدد عند قسم من التداوليين[25] وقد استعمله الشاعر للإشارة إلى المكان الذي يفضي فيه أولادهُ اوقاتهم وهو المنزل أو قد يكون تحديداً تمزق نوحهم بدليل قوله في البيت اللاحق: هل ناموا ؟؟ فالمكان حدد عبر اعتماد (حيث) الذي تكون الاشارة فيه إلى المكان ذي السياق لمصغر والذي يتعلق بمكونات الوقائع حول التلفظ مثل الزمان والمكان[26].

وعلى هذا نرى ان الاشاريات المكانية في القصيدة استندت إلى مرجعيات موجودة في الحدث الكلامي مع كون الباث (الشاعر) هو محور المكان.

د- الاشاريات الاجتماعية:

هي ألفاظ أو عبارات تشير إلى العلاقة الاجتماعية الرابطة بين عناصر الحدث اللغوي ووصفها إن كانت رسمية أم غير رسمية [27].

وتعد الاشاريات الاجتماعية من الأمور المشتركة بين علم اللغة الاجتماعي والتداولية[28].

تتحكم بالاشاريات الاجتماعية مقومات ذاتية وموضوعية والمسافة المكانية والنفسية بين عناصر الخطاب[29].

أما الوسائل التي تعتمد في هذا النوع من الاشاريات متوزع على أبواب نحوية وصرفية وبلاغية متعددة بين نداء وتصغير وتناوب صيغ وغيرها من الظواهر السياقية التي تدلل على هذا النوع من الاشاريات.

ومن أمثلة ذلك في نص شاعرنا استعمال صيغ النداء، ففي " قولك يا أيها الرجلُ.. فأيّ ههنا فيما زعم الخليل – رحمه الله –، كقولك: يا هذا، والرجل وصف له كما يكون وصف لهذا، وإنما صار وصفه لا يكون فيه الا الرفع ؛ لأنك لا تستطيع أن تقول: يا أيُدلا يا أيها وتسكت ؛ لأنه منهم يلزمه التفسير، فصار هو والرجل بمنزلة اسم واحد كأنك قلت: يا رجل[30]ولـ (ها) التنبيه الذي لـ (يا) النداء " لأنهم جعلوا (ها) تنبيهاً فيها بمنزلة (يا)[31]، إذ يعد النداء من الاشاريات الاجتماعية غير الرسمية، من ذلك قوله:

لا تطرق الباب.. من يومين تطرقُها

لكنهم يا غزير الشيب ما نزلوا

وفي قوله:

يا أدمع العين من منكم يُشاطُرني

هذا المساء، وبدر الحُزن لم يكتملُ

ومن أيضاً قوله:

يا حاري الدار.. أهل الدار لن يَصِلوا

أما الـ (ها) فقد وردت عنده في موضعين، هما:

كانت أعزّ عليهم من نواظرهم

وها علبها سروب النمل تنتقل

وفي قوله:

ها بيتي الواسعُ الفضفاضُ ينظرُ لي

وكلُّ باب به مزلاجُها عَجِلُ

وذلك كله ليشير الى حالة التفجع التي ألمت به حين عاد إلى منزله بعد غياب أحبابه واثارة انتباه المتلقي من ثم إلى هذا التفجع لذا كان يأتِ بحرف التنبيه بعد كل نداء.

ومن الاشاريات المستعملة في النص هي تلك المعتمدة على الاستبدال بين صيغ الافعال، التي تأتي في الكلام لدواعي بلاغية همها التأثير في الآخر فضلاً عن ان الاستمرار على نمط خطابي واحد يولّد السأم وجمود الترقب عند المتلقي[32].

لذا نجد شاعر طوال القصيدة يتكلم بصيغة الخطاب إلى ذاته حتى يفاجأنا في المقطع الأخير فيستعمل صيغة المتكلم بقوله:

كأنّ صوتاً يناديني وأسمَعُهُ

يا حارسَ الدار.. أهل الدارِ لن يصلوا

فهنا يكشف عن تفسر وهو ما يسمى بعلم البلاغة بالتجريد الذي يراد به مخاطبة الباث لنفسه ومن ثم الالتفات باستعمال صيغ المتكلم[33].

ومن آليات الاستبدال أيضاً استعمال صيغة الجمع للمعنى في قوله:

وفيك ألف ابتهال لو نسوهُ لكي

بهم عيونك قبلُ النوم تكتحِلُ

إذ استعمل (عيون) بدل من (عيناك) والانسان لا يمتلك غير عينين وهو استعمال وارد عند العرب وله نظائر في اسلوب القرآن الكريم وقد يكون ذلك مشاكلة للجمع الوارد في البيت السابق عليه إلاّ أنه يبدو لي دلالة إلى هجم المودة في قلبه ليحصل المتلقي من ثم على اشارة عن حجم الفقد المتولد لدى الشاعر، وبذلك تكتمل السلسلة التأثرية للعملية الخطابية بين تعظيم الباث ومبالغته، وتأثر المتلقي وتعاطفهُ وبذلك تتحقق الغاية من العناصر الاشارية الاجتماعية.

هـ- الاشارات النصية:

ارتأى بعض التوليدين إلى اسقاط هذا النوع من الاشاريات كونها تقترب من الاحالة، وتعد من عناصر الخطاب وخواصه لذا تسمى أيضاً بالاشاريات الخطابية، وتتشكل من جملة عبارات قد ترد في النص خاصة بموقف يتعلق بالباث كأنّ يستدرك على كلام سابق أو يلغي امراً أو يضيف آخر[34].

والفرق بين الاحالة والاشاريات النصية أن " الاحالة يتحد فيها المرجع بين ضمير الاحالة وما يحيل إليه مثل: زيد كريم وهو ابن كرام، فالمرجع الذي يعود إليه (زيد) و(هو) واحد، أما اشارات الخطاب فهي لا يحتل الى ذات المرجع بل تخلق المرجع، فاذا كنت تروي قصة ثم ذكرتك بقصة أخرى فقد تشير إليها، ثم تتوقف قائلاً: لكن تلك قصة أخرى "[35] ولم ترد هذهِ الاشاريات عن الشاعر في قصيدته الا في قوله:

لا تطرق الباب.. من يومين تطرُقهَا

لكنّهم يا غزير الشيب ما نزلوا !

يخاطب الشاعر ذاته بأن يتوقف عن طرق الباب غير أن ذلك لم ينفعه ولن ينفعه لطول المدة التي وقف فيها يطرق، وعليه استعمل حرف الاستدراك (لكنّ) الذي أشار فيه الى موقف خاص به وهو عدم تلقي اجابه، و(لكنّ) حرف صنف عند التداوليين على أنه من اشاريات الخطاب[36].

م4: الاحالة:

تعد الاحالة من المعايير التي تسهم في خلق الكفاية النصية عبر مدّ قنوات تربط الوحدات اللغوية المتباعدة [37]. وتعرف على أنها: العلاقة القائمة بين الاسماء والمسميات، وهي علاقة دلالية على شرط تطابق الخصائص الدلالية بين المحيل والمحيل إليه[38]. وهي " ليست شيئاً يقوم به تعبير ما، ولكنها شيء يمكن أن يحيل عليه شخص ما باستعماله تعبيراً معيناً[39].

والاحالة نوعان، هما[40]:

أ- احالة داخل النص وتسمى أحالة نصية وقد تكون عائدة على مفسؤ سبق التلفظ به، أو على لاحق.

ب- احالة خارج النص وتسمى احالة مقامية، إذ تقوم على وجود ذات المخاطب خارج النص مع وجود عنصر إحالي ليعيبه.

أما عناصر الاحالة فلا تختلف عن العناصر، التي تبنى عليها الاشاريات، فهي تتوزع على: الضمائر واسماء الاشارة فضلاً عن الموصولات. أي العناصر التي تسمى الشخصية كما أسلفنا.

شاعت الاحالة في قصيدة (لا تطرق الباب) شيوعاً ملحوظاً لاسيما الاحالة الضميرية التي تعد من أهم عناصر الاحالة ؛ لأنها تنوب عن الاسماء الظاهرة لذلك يعد الضمير " بديلاً لإعادة الذكر أيسر في الاستعمال وأدعى الى الخفة والاختصار، بل أن الضمير اذا اتصل فلربما أضاف الى الخفة والاختصار عنصراً ثالثاً هو الاقتصار، وهذهِ العناصر الثلاثة هي من مطالب الاستعمال اللغوي[41].

والاحالة الضميرية الواردة في القصيدة نوعان، احالة لاحقة اذ ان الشاعر وعلى مدار خطابه بشير بضمير الخطاب (أنت) لعنصر محيل إليه في نهاية الكلام، بقوله:

يا حارس الدار.. أهل الدارِ لن يصلوا

(فحرس الدار) كناية عن الأب المكلوم هو العنصر المحيل إليه في الخطابات التي سبقته، نحو قوله:

وسوف تَلقى لُقى.. كم شاكسوك لكي

تبقى لهم.. ثم عافوهُنَّ وارتحلوا

وكذا في قوله:

خُذها.. لماذا إذن تبكي وتلثمُها ؟!

فكل ضمير مقدر في الافعال (تلقى)، (خذها)، (تبكي)، (تلثمها) عائد إلى (حارس الدار) المحيل إليه)، مما يسهم في عملية التواصل بين الباث / المتلقي لأنه يجر الأخر على الانصات الى الخطاب والتفاعل معه عبر البحث عن مرجعية هذهِ الضمائر داخل النص.

ونجد أيضاً في النصين الأخيرين احالة قبلية في الفعلين (تبقى) (عافوهن) للعنصر الاشاري (بقاياهم) وذلك في قوله:

ستبصر الغرف البكماء مطفأة

أضواؤها.. وبقاياهم بها هَمَلُ

قمصانُهم.. كتبُ في الرفّ.. أشرطة

وهي احالات أيضاً بالضمائر المستترة مع الضمير المتصل (هنّ). وكل تلك الضمائر المحالة القبلية والبعدية مرتبطة بعنصر احالي لاحق هو (أهل الدار) مشكلاً بذلك وحدة نصية متضافرة العناصر لربط الجمل بعضها ببعض.

اشتمل النص أيضاً احالات مقامية تمثلت في قوله:

أدري ستذهبُ.. تستقصي نوافذهم

وقوله:

يا أدمع العين.. من منكم يشاطرني

هذا المساء.. وبدر الحزن يكتملُ ؟

ها بيتي الواسع الفضفاضُ ينظر لي

وكل باب به مزلاجُها عَجلُ

كأنّ صوتاً يناديني.. وأسمَعُه

إذ احال الباث الى نفسه بالضمائر المستترة في الأفعال: (أدري)، (أسمعه)والظاهرة في: (يشاطرني)، (لي)، (يناديني). وهذا النوع من الاحالات ترجع فيه العناصر الاحالية إلى شيء غير مذكور في النص بل إلى اشياء اخر مستنبطة من الموقف اللغوي لا من عبارات تتصل بها في النص نفسه[42].

وبشكل عام تتسم الاحالة في قصيدة (لا تطرق الباب) بالاعتماد على الاحالة الضميرية دون غيرها وذلك لأهميتها في تحقيق الاتساق النصي، إذ انها تكسب أهميتها عبر نيابتها عن الاسماء والافعال والجمل المتتالية، فضلاً عن ربط خيوط النص شكلاً ودلالة، داخلياً وخارجياً، سابقة ولاحقة. والضمائر وان كان لها محتوى دلالياً اصغر مما تنوب عنه الا انها أفضل العناصر التي يمكن أن يستعملها منشئ النص للإحالة الى كيانات معطاة[43].

وأكثر أنواع الاحالة حضوراً هي الاحالة اللاحقة التي يكون فيها العنصر الاشاري متأخراً في أغلب حالاته. مع تواجد للإحالة المقامية وهو أمر فرضه السياق اللغوي القائم على طرفين متقابلين في العملية اللغوية وهما الباث / المتلقي. وأمَل انواع الاحالة وروداً هي الاحالة القبلية التي تتسم بالوضوح والابانة والشاعر أراد عكس فخامة الشعور ببلاغة تحققها الاحالة اللاحقة.

أما العناصر الاشارية الرئيسة في القصيدة منهما عنصران: صاحب الدار الفاقد وأهل الدار المفقودين. مع ان هناك عناصر اشارية ثانوية أحيل إليها كمكمل لعملية ترابط أجزاء النص.

وخلاصة ما توصل إليه البحث يمكن اجماله بما يأتي

*القصيدة المختارة في الدراسة تدخل ضمن التجربة الشعرية الذاتية، لذا اقتصرت الشخصيات الحاضرة داخل الحدث اللغوي على شخصية الباث وإن اسندت بشخصيات مفترضة ضمن حوار داخلي أو ما يعرف بالمنولوج.

*تعد الاشاريات من تداوليات الدرجة الأولى بينما توضع الاحالة ضمن تداوليات الدرجة الثانية ومع ذلك بين الاثنين نقاط التقاء يفرقها السياق اللغوي الواردة فيه كل منهما.

*صنفت الاشاريات على عدة تصنيفات غير أن الاغلب قصرها على: الشخصية والزمانية والمكانية على أساس أن العنصر الرابع منها وهو اشاريات النص يتداخل مع الاحالة وهذا مسوغ لنزوله من مرتبة التداوليات الدرجة الاولى الى التداوليات الدرجة الثانية، أما الاشاريات الاجتماعية خروجها لأنها بنظرهك لا تحيل الى عناصر مبهمة.

*بما أن القصيدة تجربة ذاتية لذا نجد حشداً من الاشاريات الشخصية توزعت بين استعمال الضمير وبين النداء.

*الاشاريات الزمانية اعتمد الشاعر فيها على القرائن المقالية للدلالة على الزمن المراد في السياق اللغوي لا السياق الحقيقي.

*الاشاريات المكانية في النص كله اشاريات ضمنية عدا ظرف المكان (حيث) الذي جاء به ليشير الى أماكن كانت له مصدر سعادة وهناء، مع التأكيد على أن الباث هو محور الاشاريات المكانية داخل النص.

*يعد التناوب بالصيغ من الاشاريات الاجتماعية التي شاعت داخل النص المدروس فضلاً عن النداء الذي استعمل بدرجة أقل.

*الاشاريات النصية اقتصرت على استعمال حرف الاستدراك (لكنّ) الذي عد من اشاريات الخطاب.

*شاعت الاحالة شيوعاً منفشياً داخل النص ولا غالبنا إن قلنا: إنّ النص برمته قائم على الاحالة الضميرية العنصرين، هما: الباث نفسه ومن يبكيهم.

المصادر والمراجع

- الإمالة بالضمائر ودورها في تحقيق الترابط في النص القرآني – دراسة وصفية تخليلية –، نائل محمد اسماعيل، مجلة جامعة الازهر بغزّة، المجلد 13، العدد1، 2011.
- الاشاريات الخطابية وأبعادها التداولية قراءة في خطاب الامام الحسين (ع)، حازم طارش حاتم، مجلة جامعة بابل للعلوم الانسانية، المجلد 25، العدد2، 2017.
- الاشاريات مقاربة تداولية، يوسف السلمساوي، بحث منشور ضمن كتاب (التداوليات علم استعمال اللغة)، حافظ اسماعيلي علوي، دار الكتاب الحديث، أربد – الاردن، ط1، 2011.
- الاشهار القرآني والمعنى العرفاني في ضوء النظرية العرفانية والمزج المفهومي والتداولية (سورة يوسف انموذجاً)، عطية سليمان أحمد، الاكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة، 2015.
- أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية – تأسيس لنحو النص – احمد الشاوش، المؤسسة العربية للتوزيع، تونس، ط1، 2001.
- أفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، محمود نحلة، دار المعارف الجامعية، الاسكندرية، ط1، 2006.

- البرجماتية اللغوية، ستيفن ك ليفنتون، ت: سعيد حسين بحيري، دار زهراء الشرق، القاهرة، ط1، 2015.
- البيان في روائع القرآن دراسة لغوية واسلوبية للنص القرآني، تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة – مصر، ط1، 1993.
- التأشير والتباعد بين القدماء والمحدثين مقاربة تداولية، نحوش جار الله حسين وزه يي، مجلة جامعة زاخو، المجلد 3 (B)، العدد2.
- تداوليات الحوار القرآني في قصة صاحب الجنتين، باسم خبري خضير، مجلة اوروك للعلوم الإنسانية، جامعة المثنى، كلية التربية للعلوم الإنسانية، العدد4، المجلد 10، 2017.
- تداولية الاشاريات في الخطاب النهضوي عند مالك بن عبد النبي، لندة قباس، مجلة أبوليوس، المجلد 5، العدد9، 2018.
- التداولية نشأة المفاهيم والتصورات، مزايتي مريم، مجلة احكالات / دورية نصف سنوية محكمة تصدر عن معهد الآداب واللغات بالمركز الجامعي لتامنغست، الجزائر، العدد8 / ديسمبر 2015.
- الخطاب القرآني دراسة في البعد التداولي، مؤيد آل صوينت، مكتبة الحضارات، بيروت – لبنان، ط1، 2010.
- الضمير ودوره في التشكيل الاحالي، سليمان بوراس، مجلة الدراسات اللغوية والأدبية، العدد2، السنة الخامسة، ديسمبر 2014.
- القول البديع في علم البديع، للعلامة الشيخ المرعي بن يوسف، تحقيق: محمد بن علي الصامل، كنوز اشبيليا، المملكة العربية السعودية، ط1، 2002.
- الكتاب، عمرو بن عثمان الملقب بسيبويه، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1988.
- الكفاءة التداولية للمُترجم عبد الوهاب المسري انموذجاً، بو سحابة رحمة، رسالة دكتوراه مقدمة إلى معهد الترجمة، جامعة وهران، الجزائر، 2017.
- لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، حمو الحاج ذهبية، الأمل للطباعة والنشر، المدينة الجديدة، ط2، 2012.
- نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، أحمد عفيفي، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط1، 2001.
- النداء بين النحويين والبلاغيين، مبارك تربكي، مجلة حوليات التراث، العدد7، 2007.
- نسيج النص (بحث في ما يكون به الملفوظ نصاً)، الأزهر الزناد، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1993.
- النص والخطاء والاجراء، روبرت دي جراند، ترجمة: تمام حسان، عالم الكتب القاهرة، ط1.
- الوظائف التداولية في مسرحيات احمد رضا حوحو، رواية حباري، رسالة مقدمة إلى كلية الآداب واللغات، جامعة محمد خيضر بسكرة، 2015.

المواقع الالكترونية:

- عبد الرزاق عبد الواحد يبكي جمهور الفجيرة ويضحكهم، موقع الفجيرة اليوم 2012/4/19.
- وهج الكتابة: لا تطرق الباب انهم رحلوا، عبد الحميد القائد، اخبار الخليج، العدد15029 في 2009/5/17.
- موقع شبكة البصرة 30 شوال 1432.

الهوامـــــش

[1]– ينظر: وهج الكتابة: لا تطرق الباب انهم رحلوا، عبد الحميد القائد، ديسمبر، 2016، اخبار الخليج، ع29، 15–2009/5/17.
http://media.akhber-alkhaleej.com

[2]– ينظر موقع الفجيرة اليوم 2012/4/19 (عبد الرزاق عبد الواحد يبكي جمهور الفجيرة ويضحكهم).

[3]– ينظر موقع شبكة البصرة 30 شوال 1432.

[4]– ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، محمود نحلة، دار المعارف الجامعية الاسكندرية، ط1، 2006، ص6.

[5]– ينظر: استقبال النظريات النقدية في الخطاب العربي المعاصر (دراسة نقدية مقارنة)، خضاوي بعلي، دروب للنشر والتوزيع، ص182.

[6]– ينظر: البرجماتية اللغوية، ستيفف ك ليغنسون، ت: سعيد حسين بحيري، دار زهراء الشرق، القاهرة، ط1، 2015، ص87

[7]– ينظر: تداوليات الحوار القرآني في قصة صاحب الجنتين، باسم خيري خضير، مجلة اوروك للعلوم الانسانية، جامعة المثنى – كلية التربية للعلوم الانسانية، العدد ع المجلد 2017/10، ص36.

[8]– نسيج النص (بحث في ما يكون به الملفوظ نصاً)، الأزهر الزناد، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1993، ص116.

[9]– ينظر: أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية، تأسيس نحو النص، محمد الشاوش، المؤسسة العربية للتوزيع، تونس، ط1، 2001، ع1069/2.

[10]– ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص17.

[11]– ينظر: تداولية الاشاريات في الخطاب النهضوس عند مالك بن عبد النبي، لندة قباس مجلة أبوليوس، المجلد 5، العدد9، 2018، ص48.

[12]– ينظر: الاشاريات الخطابية وابعادها التداولية قراءة في خطاب الامام الحسن (ع)، حازم طارش حاتم، مجلة جامعة بابل للعلوم الانسانية، المجلد 25، العدد2، 2017، ص729.

[13]– ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص19.

[14]– ينظر: النداء بين النحويين والبلاغيين، مبارك تريكي، مجلة حوليات التراث العدد7/2007، ص38.

[15]– ينظر: النص والخطاب والاجراء، روبرت دي بوجراند، ترجمة: تمام حسان، عالم الكتب القاهرة، ط1، ص339.

[16]– ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص18.

[17]– ينظر: م.ن، ص19.

[18]– ينظر: المشيرات المقامية في اللغة العربية، نرجس باديس، مركز النشر الجامعي، تونس، 2009، ص247.

[19]– ينظر: لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، حمو الحاج ذهبية، الأمل للطباعة والنشر، المدينة الجديدة، ط2، 2012، ص119.

[20]– ينظر: التداولية النشأة والتطور، عبد الحكيم سحالية، منتدى حمدة بو منصورة ينبوع المعرفة، الطارف، قسم الدراسات العليا والجامعية (نت).

[21]– ينظر: التأشير والتباعد بين القدماء والمحدثين مقاربة تداولية، نحوش جار الله حسين دزه يي، مجلة جامعة زاخو، المجلد 3 (B)، العدد2، ص456.

[22]– ينظر: التداولية نشأة المفاهيم والتصورات، مزايتي مريم، مجلة اشكالات، دورية نصف سنوية محكمة تصدر عن معهد الآداب واللغات بالمركز الجامعي لتامنغست، الجزائر، العدد 8، ديسمبر 2015، ص275.

[23]– ينظر: التأشير والتباعد بين القدماء والمحدثين مقاربة تداولية، ص454.

[24]– ينظر: الخطاب القرآني دراسة في البعد التداولي، مؤيد آل صوينت، مكتبة الحضارات، بيروت – لبنان، ط1، 2010، ص86.

[25]– ينظر: الاشاريات مقاربة تداولية، يوسف السيساوي، بحث منشور ضمن كتاب (التداوليات علم استعمال اللغة)، حافظ اسماعيلي علوي، دار الكتاب الحديث، اربد – الاردن، ط1، 2011، ص443–444.

[26]– ينظر: م.ن: 443–444.

[27]– ينظر: الكفاءة التداولية للمُترجم عبد الوهاب المسري انموذجاً، بو سحابة رحمة، رسالة دكتوراه مقدمة إلى معهد الترجمة، جامعة وهران، الجزائر، 2017، ص24.

[28]– ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص26.

[29]– ينظر: التأشير والتباعد بين القدماء والمحدثين مقاربة تداولية، ص459.

[30]– الكتاب، عمرو بن عثمان الملقب بسيبويه، تحـ: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1988، ص188/2.

[31]– م.ن: 212/2.

[32]– ينظر: التأشير والتباعد بين القدماء والمحدثين مقاربة تداولية، ص461.

[33]– ينظر: القول البديع في علم البديع، للعلامة الشيخ المرعي بن يوسف، تحقيق: محمد بن علي الصامل، كنوز اشبيليا، المملكة العربية السعودية، ط1، 2004، ص208.

[34]– ينظر: الوظائف التداولية في مسرحيات احمد رضا حوحو، رواية حباري، رسالة مقدمة كلية الآداب واللغات، جامعة محمد خيضر بسكرة، 2015، ص49.

[35]– الاشهار القرآني والمعنى العرفاني في ضوء النظرية العرفانية والمزج المفهومي والتداولية (سورة يوسف انموذجاً)، عطية سليمان احمد، الاكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة، 2015، ص174.

[36]– ينظر: تداولية الاشاريات في الخطاب النهضوي عند مالك بن نبي، ص55.

[37]– ينظر: الاحالة بالضمائر ودورها في تحقيق الترابط في النص القرآني – دراسة وصفية تحليلية – نائل محمد اسماعيل، مجلة جامعة الازهر بغزّة، المجلد 13، العدد1، 2011، ص1016.

[38]– ينظر: نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، أحمد عفيفي، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط1، 2011، ص116.

[39]– ينظر: م.ن: 117.

[40]– ينظر: الاحالة في نحو النص، احمد عفيفي، ص7 نقلاً عن التماسك النصي بالاحالة دراسة تطبيقية في سورة الواقعة، حمادة عبد الاله حامد، حولية كلية اللغة العربية بجرجا، جامعة الأزهر، العدد 19، الجزء6، 2015، ص5090.

[41]– البيان في روائع القرآن دراسة لغوية واسلوبية للنص القرآني، تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة – مصر، ط1، 1993، ص119.

[42]– ينظر: النص والخطاب والاجراء، يص332.

[43]– ينظر: الضمير ودوره في التشكيل الاحالي، سليمان بوراس، مجلة الدراسات اللغوية والادبية، العدد2، السنة الخامسة، ديسمبر 2014، ص28.